يعمل ضمن الشرعيات الرسمية القائمة؛ وفي هذه الحال ستفقد الثورة الفلسطينية صفتها الثورية، ولن يتعدى سقف اهدافها السقف الذي تحدده الانظمة العربية.

وربما كان «اليسار الفلسطيني» قد وعى هذه الحقيقة، الا انه، للاسف، انغلق، مع اقنوماته حول الحزب الثوري والنظرية الثورية وديكتاتورية البروليتاريا، عن ساحة الفعل والممارسة في الواقع. فبما انه لا نجاح للثورة الفلسطينية الا بقيادة عمالية وبالثورة الاجتماعية، وبما ان هذه البروليتاريا ما زالت ضعيفة وغير مؤهلة للقيادة، ومتطلبات الثورة الاجتماعية تواجهها عقبات، فقد فضل اليسار الانتظار حتى توجد الظروف المؤاتية، وانغلق، فلسطينياً وعربياً، واكتفى بالتنظير السياسي والفكري على حساب الفعل والممارسة في الساحة العربية؛ وهذا ما جعله يعيش المأزق ذاته الذي تعيشه بقية فصائل المقاومة الفلسطينية، ان لم يكن اكثر.

ولكن، هل حركات التحرر العربية معفية من المسؤولية ؟

في الواقع، لا. بل ان مسؤولية حركات التحرر العربية، في هذا المجال، اكبر من مسؤولية الثورة الفلسطينية.

ان ضخامة التحديات التي تتصدى لها الثورة الفلسطينية يجعلها غير قادرة على تحمل مسؤولية العمل المباشر في الساحة العربية، لتثوير الجماهير العربية ولخلق حركات ثورية عربية. كما ان اي تحرك فلسطيني، في المجال الجماهير العربي، سيقابل بـ «فيتو» عربي. ومن هنا، تقع مسؤولية الفعل والتثوير وتطوير البنى والهياكل المجتمعية العربية على عاتق الجماهير العربية وحركاتها التحررية بمختلف فصائلها ومواقعها. وهنا، ايضاً، تكمن المعضلة؛ ذلك ان الواقع اثبت ان هذه الحركات تعاني من قصور تكويني وتنظيمي، بل وغموض لدى غالبيتها في مواقفها الايديولوجية، وتغليبها للاعتبارات الاقليمية على الاعتبارات القومية الثورية؛ الامر الذي يجعل التحدث عن حركة تحرر عربية كلاماً يفتقر الى الدقة.

ان اي محاولة بحث موضوعي لحركة التحرر العربية، بمفهومها الثوري القومي، سيصل الى نتيجة مفادها شبه الغياب لهذه الحركة. واذا استثنينا المناضلين الثوريين الذين يقبعون في السجون، او اولئك الذين اجبرتهم قوى القمع على العمل «تحت الارض» او اللجوء الى المنافي الاختيارية، فان بقية القوى العاملة على الساحة العربية، وبغض النظر عما ترفع من شعارات وتردد من كلمات طنانة عن الثورية والتقدمية والنضال، هي جزء من السلطة، او تبحث عن السلطة، ولكن ليس بالاسلوب الثوري، وانما ضمن قواعد اللعبة ومحدودية سقفها الاعلى. وقد اثبتت الاحداث ان كراسي السلطة، او مجرد التلويح بكرسي السلطة والحكم ـ في وزارة او برلمان ـ غالباً ما يجرد القوى الثورية من كثير من افكارها الثورية السابقة، فتطغى متطلبات السلطة على متطلبات العمل الجماهيري.

ان واقع حركات التحرر العربية التكويني، والتنظيمي، والفكري، يشكل جزءاً اساسياً في القصور والتردي الذي عرفته العلاقة بين الجماهير العربية والثورة الفلسطينية. صحيح ان الجماهير العربية تمحض الثورة كل التأييد والتعاطف؛ الا ان هذا التأييد يبقى عفوياً عاطفياً؛ وفي عفويته وعاطفيته تكمن خطورته. وهو إن لم يُسيَّس ثورياً، وينظم ويعبأ، يبقى عرضة لاي دعاية مغرضة(٦٩).

والخطورة التي يمكن ان تترتب على المأزق الذي تعاني منه الثورة الفلسطينية، او